تحليل جغرافي لأثر فيروس كورونا النفسي على المجتمع (دراسة مقارنة بين العراق وإيطاليا)

أ.م.د. صباح وهب عبد الله

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

swahab@uowasit.edu.iq

الملخص

فيروسات كورونا هي فصيلة كبيرة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان. ومن المعروف أن عدداً من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر حالات عدوى الجهاز التنفسي التي تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (السارس). ويسبب فيروس كورونا المُكتشف مؤخراً مرض فيروس كورونا كوفيد-١٩. ويصاب بعض الناس بالعدوى دون أن تظهر عليهم أي أعراض ودون أن يشعروا بالمرض. ويتعافى معظم الأشخاص (نحو ٨٠%) من المرض دون الحاجة إلى علاج خاص. وتشتد حدة المرض لدى شخص واحد تقريباً من كل ٦ أشخاص يصابون بعدوى كوفيد-١٩ حيث يعانون من صعوبة التنفس. وتزداد احتمالات إصابة المسنين والأشخاص المصابين بمشكلات طبية أساسية مثل ارتفاع ضغط الدم أو أمراض القلب أو داء السكري، بأمراض وخيمة. وقد توفي نحو ٢% من الأشخاص الذين أصيبوا بالمرض. وينبغي للأشخاص الذين يعانون من الحمى والسعال وصعوبة التنفس التماس الرعاية الطبية. سنتناول في بحثنا هذا بلدين من بلدان العالم التي تعرضت للإصابة بمرض فيروس كورونا والتي ساهمت بوضع التدابير اللازمة للتقليل من انتشار المرض والسيطرة عليه كدراسة مقارنة بين دولة متقدمة ودولة نامية في مواجهة تفشي الفيروس. ومنها العراق كدولة عربية وإيطاليا كدولة أجنبية. إذ لا يكاد يجلس اثنان في العالم إلا وكان فيروس كورونا ثالثهما، إذ يشي واقع الأمر بأنه لا أحد بمنأى عن خطورة هذا الوباء المتنقل من مكان إلى آخر، ومع الإمكانيات الطبية المتواضعة في بعض البلدان العربية فإنّ صد الهجمة الشرسة التي تتعرض لها البشرية نتيجة هذا الفيروس ستكون صعبة جداً على كثير من الحكومات في العالم.

Summary

Coronaviruses are a large family of viruses that may cause disease in animals and humans. It is known that a number of corona viruses in humans cause respiratory infections that range from common cold to more severe diseases such as Middle East respiratory syndrome and severe acute respiratory syndrome (SARS). The recently discovered Coronavirus causes the Coronavirus disease Covid-19. Some people become infected without showing any symptoms and without feeling ill. Most people (about 80%) recover from the disease without needing special treatment. The severity of the disease is more severe in approximately one person out of every 6 people who develop Covid-19 infection, who suffer from difficulty breathing. Older people and people with underlying medical problems such as high blood pressure, heart disease or diabetes are more likely to develop severe disease. About 2% of people who contracted the disease died. People with a fever, cough, and trouble breathing should seek medical attention. In our research, we will deal with two countries of the world that have been affected by the Coronavirus disease and that have contributed to putting in place the necessary measures to reduce the spread of the disease and control it as a comparative study between a developed country and a developing country in the face of the outbreak of the virus, including Iraq as an Arab country and Italy as a foreign country. As hardly two people sit in the world unless the Corona virus is the third of them, as the reality of the matter indicates that no one is immune from the seriousness of this epidemic moving from one place to another, and with the modest medical capabilities in some Arab countries, the fierce attack against humanity as a result of this virus has been repelled. It will be very difficult for many governments in the world.

المقدمة

بعد أن استيقظ الملايين قبل أيام على حديث عن فيروس غامض يمكنه سلب البشر حياتهم، استخف الكثيرون بالأمر أو حتى لم يعطوه أي جزء من اهتمامهم أصلاً، إذ لم يتخيل أحد أن يتحول ذلك الفيروس، الحامل لاسم لا يعكس أي خطورة، أن يصبح كابوساً يطارد الجميع لفترة لا يُعرف مداها. وأن حالة الخوف الهستيري التي تظهر في مثل هذه المواقف معروفة، ويجب التعامل معها بشكل دقيق، حتى لا تتحول إلى هستيريا جماعية تضر جميع أفراد المجتمع^(١)

إن هذا النوع من الهستيريا الجماعية يمكن فهمه في إطار علمي، وهو أن النفس البشرية لديها استعداد سريع للتعامل مع حالة الفزع والخوف الشديد، والتفكير بشكل عشوائي، وهذا قد يدفع إلى اتخاذ قرارات سريعة للخروج من المأزق بأي شكل والخوف من أن يكون هناك خطر على البشرية موجود لدى كثيرين منذ عقود ومع ظهور وانتشار فيروس كورونا يشعر البعض أنهم ربما يواجهون قاتلاً مجهولاً يهدد بفناء البشر، وبالتالي فإن التأثير النفسي لذلك يتزايد بشكل ملحوظ.

مشكلة البحث:

(هل أن تفشي مرض فيروس كورونا (COVID-19) مرهقاً للناس ويصيبهم بالخوف والقلق

والإجهاد .)

فرضية البحث:

ظهور العديد من الأشخاص المتأثرين نفسياً بتفشي الفيروس المستجد أو بظروف العزل في المنازل، ومع المعاناة الصحية من مرض كوفيد ١٩ يؤدي هذا الفيروس إلى الإصابة بالأمراض النفسية.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى دراسة الآثار النفسية على الإنسان إذ إن الأمراض النفسية التي قد يجلبها لنا فيروس كورونا المستجد ترتبط بمستويات أعلى من الاضطرابات النفسية، وتزداد معدلات الاكتئاب، والتي عادةً ما تظهر بعد العدوى.

المعاني والمصطلحات

انتشار فيروس كورونا في أغلب دول العالم إلى اتخاذ إجراءات استثنائية متسارعة لاحتواء العدوى والتي تزامنت مع مصطلحات ذات دلالات مختلفة استخدمها السياسيون والإعلام ، فما هي هذه المصطلحات ، وماذا تعني؟

(فيروس) : اسم^(٢)

الْفَيْرُوسُ : كائنات دقيقة لا تُرى بالمِجهر العاديّ، تتفُذ من الرّاشحات البكتيرية، وتُحدث بعض الأمراض

(فيروسِيّ) : اسم منسوب إلى فَيروس له قدرة أو خاصيّة التوالد والتزايد بسرعة مرض فيروسي .
(التفشي) :يعني الانتشار السريع لحالات الإصابة بمرض أو فيروس في منطقة معيّنة.

(الوباء) Epidemic: يعني أنّ الفيروس ينتقل إلى العديد من الناس والعديد من المجتمعات في نفس الوقت، بحسب موقع الأمم المتحدة .فعلى سبيل المثال كان الفيروس قد نشأ بسرعة في مدينة ووهان الصينية، وبعدها انتقل إلى مدن صينيّة أخرى، ما يعني أنّه أصبح وباء.

(الجائحة) Pandemic: وهو التسمية الرسميّة التي أطلقتها منظمة الصحة العالمية على "كورونا" وتعني أنّه انتشر رسمياً عبر مناطق جغرافية كبيرة تغطي قارات متعددة والعالم بأسره^(٣)

(اللقاح) : هو مستحضر بيولوجي، يقدّم المناعة الفاعلة المكتسبة تجاه مرض معين.

(الدواء) :مادة تُستخدم في معالجة الأمراض التي تصيب الناس وتساهم في تخفيف وطأتها.

(الحجر المنزلي): بحسب معجم المعاني فهذه العبارة طبيّة وتعني "عزل الأشخاص أو الحيوانات أو النباتات الوافدة من منطقة موبوءة بالأمراض المُعدّية؛ للتأكد من خلوّهم من تلك الأمراض.

(الحجر الصحي) : هو عزل صارم مفروض لمنع انتشار المرض ، كما تذكر القواميس الطبية، ويتم اتخاذ هذا الإجراء في محاولة للسيطرة على المرض والوقاية منه، مما يعني أنه يتم على أشخاص قد يحتمل تعرضهم للمرض، ولكن دون ظهور الأعراض عليهم، كالمسافرين القادمين من دول موبوءة، أو ممن خالطوا مريضاً، ويندرج تحتها الحجر الصحي الذاتي أو الطوعي، والذي يقوم به الأفراد في منازلهم وبشكل اختياري، وقد تم استخدام هذا الإجراء في القرن الثالث عشر على السفن الإيطالية في محاولة لدرء الطاعون.

(العزل الصحي): يشار في هذا المصطلح إلى الإجراء الذي يهدف إلى عزل فرد أو مجموعة عن الباقي، وفي السياق الطبي فإنه يعني الانفصال التام لشخص يعاني من مرضٍ معدٍ. ووفقاً لمركز السيطرة على الأمراض الأمريكي فإن ممارسة العزلة تستلزم فصل المصابين بمرض معدٍ عن الآخرين، وقد يكون العزل طوعياً أو مفروضاً حسب اللوائح القانونية في كل بلد.

(التباعد الاجتماعي): يندرج هذا المصطلح تحت النصائح المتعلقة في التعامل مع الأمراض المعدية، وتشير القواميس الطبية إلى أن المصطلح يشمل التدابير التي تقلل من الاتصال بين الناس، وغالباً ما يشمل التجمعات الكبيرة مثل: المؤتمرات، والصلوات الجماعية، والاحتفالات. ويندرج تحته العمل من المنزل، وتقييد النقل الجماعي والسفر، وقد اتخذت أغلب الدول حالياً هذه التدابير كجزء من إعلان حالة الطوارئ، وللتخفيف من انتشار العدوى بالمرض.

(الإعلان عن حالة الطوارئ): وهو إن الدول توقف العمل بالقانون العادي، باستثناء المادة التي تتحدث عن حالة الطوارئ، ومن صلاحياتها تقييد حرية وحركة المواطنين بالحد اللازم لمواجهة سبب الإعلان، ما قد يشمل الاعتقال ومنع التجول، وإمكانية الاستعانة بالجيش والقوات العسكرية. (حظر التجوال): يقصد به منع حركة المواطنين في منطقة معينة أو في بلد معين ضمن فترة زمنية معينة، ويتزامن عادة مع إعلان حالة الطوارئ، وتختلف حدته بناء على طبيعة الطارئ، والدولة المنفذة.

ما هو فيروس كورونا؟

فيروسات كورونا هي فصيلة كبيرة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان . ومن المعروف أن عدداً من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر حالات عدوى الجهاز التنفسي التي تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (السارس). ويسبب فيروس كورونا المُكتشف مؤخراً مرض فيروس كورونا كوفيد-١٩.^(٤)

ما هو مرض كوفيد-١٩؟

مرض كوفيد-١٩ هو مرض معد يسببه فيروس كورونا المُكتشف مؤخراً. ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس وهذا المرض المستجدين قبل اندلاع الفاشية في مدينة ووهان الصينية في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٩.

ما هي أعراض مرض كوفيد-١٩؟

تتمثل الأعراض الأكثر شيوعاً لمرض كوفيد-١٩ في الحمى والإرهاق والسعال الجاف. وقد يعاني بعض المرضى من الآلام والأوجاع، أو احتقان الأنف، أو الرشح، أو ألم الحلق، أو الإسهال. وعادة ما تكون هذه الأعراض خفيفة وتبدأ تدريجياً. ويصاب بعض الناس بالعدوى دون أن تظهر عليهم أي أعراض ودون أن يشعروا بالمرض. ويتعافى معظم الأشخاص (نحو ٨٠%) من المرض دون الحاجة

إلى علاج خاص. وتشتد حدة المرض لدى شخص واحد تقريباً من كل ٦ أشخاص يصابون بعدوى كوفيد-١٩ حيث يعانون من صعوبة التنفس. وتزداد احتمالات إصابة المسنين والأشخاص المصابين بمشكلات طبية أساسية مثل ارتفاع ضغط الدم أو أمراض القلب أو داء السكري، بأمراض وخيمة. وقد توفي نحو ٢% من الأشخاص الذين أصيبوا بالمرض. وينبغي للأشخاص الذين يعانون من الحمى والسعال وصعوبة التنفس التماس الرعاية الطبية.

كيف ينتشر مرض كوفيد-١٩؟

يمكن أن يصاب الأشخاص بعدوى مرض كوفيد-١٩ عن طريق الأشخاص الآخرين المصابين بالفيروس. ويمكن للمرض أن ينتقل من شخص إلى شخص عن طريق القطرات الصغيرة التي تنتشر من الأنف أو الفم عندما يسعل الشخص المصاب بمرض كوفيد-١٩ أو يعطس. وتتساقط هذه القطرات على الأشياء والأسطح المحيطة بالشخص. ويمكن حينها أن يصاب الأشخاص الآخرون بمرض كوفيد-١٩ عند ملامستهم لهذه الأشياء أو الأسطح ثم لمس عينيهم أو أنفهم أو فمهم. كما يمكن أن يصاب الأشخاص بمرض كوفيد-١٩ إذا تنفسوا القطرات التي تخرج من الشخص المصاب بالمرض مع سعاله أو زفيره. ولذا فمن الأهمية بمكان الابتعاد عن الشخص المريض بمسافة تزيد على متر واحد (٣ أقدام).^(٥)

سنتناول في بحثنا هذا بلدين من بلدان العالم التي تعرضت للإصابة بمرض فيروس كورونا والتي ساهمت بوضع التدابير اللازمة للتقليل من انتشار المرض والسيطرة عليه كدراسة مقارنة بين دولة متقدمة ودولة نامية في مواجهة نقشي الفيروس. ومنها العراق كدولة عربية وإيطاليا كدولة أجنبية. إذ لا يكاد يجلس اثنان في العالم إلا وكان فيروس كورونا ثالثهما، إذ يشي واقع الأمر بأنه لا أحد بمنأى عن خطورة هذا الوباء المنتقل من مكان إلى آخر، ومع الإمكانيات الطبية المتواضعة في بعض البلدان العربية فإنّ صد الهجمة الشرسة التي تتعرض لها البشرية نتيجة هذا الفيروس ستكون صعبة جداً على كثير من الحكومات في العالم.

الفيروس حصد من الأرواح لحد اللحظة ما يتجاوز ٢٧٦٢ ضحية غالبيتهم في "الصين"، الأمر الذي حدا بجميع دول العالم رفع الجاهزية الصحية لأعلى درجاتها احترازاً من هذا الخطر المحقق بالعالم، وذلك من خلال فرض القيود الصارمة حول التنقل من وإلى الدول التي سجلت حالات إصابة به، وهذا ما لم يجد الزخم ذاته بالنسبة للعراق المجاور لإيران.

العراق في زمن الكورونا

زاد عدد سكان العراق ثلاثة أضعاف في الفترة بين عامي ١٩٧٠ و ٢٠٠٧ إذ ارتفعت أعدادهم من ١٠ مليون نسمة إلى ٣٢ مليون نسمة. ويعيش ٧١% من سكان العراق حالياً في المناطق الحضرية، حيث يعيش أكثر من نصفهم في ظروف شبه عشوائية. سيبلغ عدد السكان نحو ٥٠ مليون نسمة بحلول عام ٢٠٣٠، مما سيشكل مزيداً من الضغط على فرص الحصول على الخدمات والسكن الملائم. ويعيش ٧ مليون عراقي أي ٢٣% من العدد الكلي لسكان العراق في حالة فقر (ينفق الشخص العراقي الواحد أقل من ٧٧,٠٠٠ دينار عراقي في الشهر أو ٣ دينار في اليوم ويبلغ معدل البطالة ١١% على المستوى الوطني (٧% من الذكور و ١٣% من الإناث). فيما بلغ عدد عاطلين عن العمل ٦٥٣,٠٠٠ شخصاً. تبلغ نسبة العاملين بدوام كامل في القطاع العام نحو ٦٠%. وفي عام ٢٠١١ وفرت الحكومة ٤٠% من الوظائف، بينما وفر القطاع الخاص بقية الفرص. على الرغم من أن قطاع النفط يساهم بـ ٦٥% من إجمالي الناتج المحلي حالياً، إلا أن عدد العاملين به لا يتجاوز ١% من العدد الكلي للقوى العاملة في البلاد. وأزداد الإقبال على استخدام التكنولوجيا بشكل سريع منذ العام ٢٠٠٣، إذ يستخدم ٧٨% من العراقيين الهواتف النقالة ويمتلك ١٢% منهم أجهزة كمبيوتر شخصية.

يتطلب من الحكومة العراقية بنى تحتية وتحسين الواقع الإداري وتجهيز الكوادر الطبية المدربة وتكريس قواعد السلامة العامة والنهوض بالبلاد، شأنه شأن أي فيروس وبائي، فعلى الرغم من أن العراق تجمعته حدود برية مع إيران، وهذا يجعله عرضة للخطر أكثر من غيره، نجد أن العراق اليوم على حافة تلقي خطر آخر من المخاطر التي تعصف به جراء النفوذ الإيراني إذ بات العراقيون اليوم وجهاً لوجه أمام كارثة تهدد بلادهم والمتمثلة بفيروس كورونا وقد أصبحت إيران من الدول الحاضنة له رغماً عنها وليس بإرادتها ومع هذا لا بدّ من إجراءات تتخذها إيران في الدرجة الأولى وجيرانها بالدرجة الثانية لمنع انتشار المرض على نطاق واسع.

ففي ظل هذا الواقع المفزع وانطلاقاً من أخذ الأمر على درجة الخطورة المتمثلة به، والتي قد تصل لحد النتائج الكارثية، إن لم تغلق الحدود ويمنع التنقل بين إيران ومحيطها العربي على وجه الخصوص، لحين إيجاد العلاج الناجع للفيروس الذي إن حل ببلد فإنه يستنزف الاقتصاد، ويحول دولاً بأكملها إلى سجن ومدن أشباح محاطة بسياج الحجر الصحي، على الرغم من تقدم تلك الدول اقتصادياً وتكنولوجياً وعلمياً وطبياً كالصين، المكان الرئيسي الذي انتشر منه الفيروس. إلا أن الحقيقة المرة تتمثل بمحابة ومجاملة من بعض مسؤولي العراق لإيران، من خلال الترويج بأن طهران قادرة

على السيطرة على المرض، وإلا كيف يفسر عدم إصدار قرارات من السلطات العراقية حتى هذه اللحظة بإغلاق الحدود ومنع السفر من وإلى إيران، التي إن شهدت بعض الإجراءات إلا أنها لا تعدو عن كونها شكلية لا تسمن ولا تغني من جوع؟ ولا شك أن الأسوياء لا يفكرون إطلاقاً بتصدير هذا الفيروس لا من إيران ولا إليها.

من الملفت للنظر في العراق خلال الأسابيع القليلة الماضية هو عدم اقتناع البعض، وهم الذين لا يخفون ولاءهم لإيران بضرورة وقف الرحلات الجوية والسفر منها وإليها، متذرعين بأنها مؤامرة أمريكية تستهدف طهران، وهذا يعرض العراقيين وغيرهم إلى خطر لا يمكن للعراق التغلب على صعوباته خاصة في ظل الظروف الاقتصادية والسياسية القاسية التي تعصف به في هذا الوقت.

في واقع الأمر لا يمكن القبول بأي رأي يجامل أو يتستر على مسألة انتشار المرض وإمكانية وصول حالات كثيرة من إيران أو غيرها من البلدان، وعليه لا بد من الإسراع في اتخاذ إجراءات تحمي البشرية جمعاء، وليس شعوب المنطقة العربية فحسب من هذا الفيروس الذي ينتشر بسرعة هائلة. لذلك إذا كان يتطلب من الحكومة العراقية لمواجهة فيروس كورونا بنى تحتية وتحسين الواقع الإداري وتجهيز الكوادر الطبية المدربة وتكريس قواعد السلامة العامة والنهوض بالبلاد شأنه شأن أي فيروس وبائي .

التوزيع الجغرافي لفيروس كورونا في العراق

إن عدد الإصابات (المسجلة لدى وزارة الصحة) لغاية صباح اليوم، بلغ ١٥٠٠ إصابة منها ٩٠٠ أنثى منها ٤٠ حالة وفاة و ٣٣٠ حالة شفاء، أما الذكور فبلغ عددهم ٦٠٠ وعدد الوفيات ٣٥ حالة و ٢٧٥ حالة شفاء ، وكانت نسبة الذكور بين المصابين ٤٠% والإناث ٦٠%. وسجلت نسبة المصابين الذين تفوق أعمارهم ٤٠ عاماً (٥٢%) ذكور و (٤٨%) إناث. أما من هم تحت الـ ٤٠% عاماً، فقد بلغت نسبة الإناث من الوفيات بينهم ٧٥%، والذكور ٢٥%، وأن معدل عمر المتوفين ٦١ عاماً.^(١) ومن أهم الملاحظات التي سجلها الأطباء من خلال متابعتهم المستمرة للمصابين، أن معاناة الإناث أكثر من معاناة الذكور، ويتضح ذلك من نسبة الوفاة حيث كانت ثلاث نساء ورجلاً واحداً، وحتى الذين تمكنوا من الشفاء كان المرض أكثر حدة على النساء منه على الرجال، لدرجة أن اثنين من المرضى كانا زوجين الرجل بعمر ٦٠ عاماً وزوجته بعمر ٤٥، فبينما كان هو يقاوم المرض ببأس جيد كانت زوجته التي تصغره سناً تعاني بشدة. أما كون أكثر المصابين والمشتبه بهم والملاسمين هم من الذكور فهذا طبيعى جداً، لأن الرجال في العراق معرضون أكثر لكونهم مضطرين

للخروج من المنزل أكثر من النساء، تبقى الحالة النفسية لها دور في موضوع الشفاء من عدمة حيث كان الذين يمتلكون معنويات عالية يتعافون أكثر من غيرهم، أن هذه الملاحظات تبقى بحاجة إلى دراسة كل حالة من الحالات التي ظهرت في العراق ليتم استخلاص النتائج منها.

أما بالنسبة للمحافظات فقد سجلت بغداد أعلى نسبة وبلغت (٧٠%) كونها تشكل العاصمة وذات حجم سكاني كبير وتتميز باكتظاظ سكاني إذ تضم البناية الواحدة تقريبا أكثر من ١٠ أفراد وبالتالي فرص الإصابة تكون أسرع ، أما أعلى منطقة في بغداد ظهرت فيها الإصابات فهي المناطق الشعبية عامة ومدينة الصدر خاصة وسجلت نسبة (٥٠%) من الحالات ،أما اقل محافظة سجلت فيها اقل إصابة هي محافظة الأنبار وبلغت إصابة واحدة موجبة وأربع ملامسين واثنان حالة شفاء ، أما بقية المحافظات فكانت بين هاتين المحافظتين ، ولا يمكن في بحثنا هذا إعطاء أرقام وإحصائيات ثابتة لأن الفيروس لازال موجود في كل المحافظات وبأعداد مختلفة فضلا عن وجود حالات مشتبه بها وحالات تماثلت للشفاء ،

وخاصة أن هذا الفيروس قادر على تطوير نفسه مرة أخرى والظهور في بعض الحالات التي تماثلت للشفاء مما يدل على إن فيروس كورونا يمر بحالة سبات تستمر لفترة معينة وتعاود نشاطها ، ولكن الحمد لله لم تظهر هذه الحالة في العراق .

أما بالنسبة للوفيات فكانت اغلب الحالات هي أصلا مصابة بأمراض مزمنة ولم تستطع التغلب على المرض وهي تعاني من قلة المناعة. وعملت خلية الأزمة على عانقتها اتخاذ مجموعة إجراءات للمحاولة للتقليل من الإصابات ومنها فرض حظر تجوال على المواطنين والحجر الصحي للملصين وتحديد أوقات التسوق ورغم ذلك لازالت هناك إصابات تظهر بين الحين والآخر. كل هذا ولد حالة نفسية على أفراد المجتمع العراقي بين الرجال والنساء والأطفال ، إذ انقطع التواصل مع الأصدقاء والأحباء والأهل والأقارب وامتنع الأطفال من الذهاب للملاعب والمنتزهات والمدارس ، أيضا اثر ذلك على الحالة النفسية للفقراء ومعاناتهم لعدم وجود فرص عمل تساعدهم على توفير ابسط الحاجات ، بالرغم من قيام بعض الميسورين والمؤسسات بتوزيع المساعدات ولكنها لا تقي بالغرض كون ظاهرة انتشار فيروس كورونا لازالت مستمرة مما دفعت البعض إلى عدم تطبيق حظر التجوال ،

والخروج من المنزل للبحث عن عمل ما يمكنه من توفير احتياجات أسرته ، ورغم ذلك نقول بما إن المستوى الصحي في العراق متدني قياسا ببقية دول العالم المتطورة إلا إن الإصابات والحمد لله اقل منهم وسنتغلب على المرض بإرادة الله .

إيطاليا في زمن الكورونا

سقطت منارة المرح الأوربي والتسلية، والأزياء، والغذاء، والعاطفة، لقد سقطت إيطاليا بسرعة في ظلال شبح الفيروس وتحطمت البنية التحتية الطبية وارتفع عدد القتلى بشكل كبير. لقد أصبحت الدولة اللامعة التي يبلغ عدد سكانها ٦٠,٥ مليون نسمة نقطة محورية لتقشّي الفيروس، ويوجد لديها ثاني أكبر عدد من الإصابات. إذ تم توثيق ما يقرب من ١٤٥٠٠ شخص إصابة بالمرض وما يقرب ٣ آلاف شخص لقوا مصرعهم بالفعل. وتم إعلان أعلى عدد من الوفيات في اليوم الواحد حيث توفي أكثر ٤٧٥ شخصا. بينما يرقد أكثر من ٢ ٠٠٠ شخص في المستشفيات والعناية المركزة.

وأن تقارير المخابرات نبهت الحكومة إلى الوباء المحتمل بعد أيام فقط من تسله إلى الصين في أواخر العام الماضي. ولكن مرت أسابيع قبل اتخاذ أي إجراء جدي في روما وبعد ذلك كان قد فات الأوان قليلاً. وقد قيل للجميع إنها مشكلة الصين ولن يأتي إلى هنا. ومع ذلك يزعم آخرون أن بعض الترابط العائلي والثقافة التي تحدد طريقة الحياة الإيطالية قد تكون في هذه الحالة أدت إلى تفاقم تقشّي الفيروس ، وأكد تقرير جديد نشره باحثون في جامعة أكسفورد أن إيطاليا تعتبر واحدة من أقدم السكان على مستوى العالم حيث أن ٢٣.٣ % من المواطنين فوق سن ٦٥ والعديد من الأسر متعددة الأجيال،

إما لا تزال تعيش تحت سقف واحد أو قريبة من بعض وتحيي المناسبات العائلية الكبيرة بشكل متكرر.

الإيطاليون هم اجتماعيون بشكل لا يصدق، وأشخاص يعيشون في مجموعات عائلية ولديهم وحدات سكنية متعددة العائلات والتنافر الاجتماعي هو عكس الثقافة الإيطالية، وأصبحت الطبيعة الرائعة للأسرة والمجتمع التي تركز على المجتمع الإيطالي نقطة ضعفهم الأكبر في زمن حدوث الجائحة العالمية. وقد أصبح من الواضح أن تطور الوباء وتأثيره قد يكونا مرتبطين بقوة بالتكوين الديمغرافي للسكان وعلى وجه التحديد، التركيب العمري للسكان. وبالمقارنة مع معظم أوروبا وحتى العالم، فإن إيطاليا تتمتع بأطول متوسط العمر بين السكان و بمتوسط ٨٢,٥ سنة وفقاً للبنك الدولي. وعلى سبيل المقارنة فإن متوسط السكان لدى أمريكا هو ٧٨,٦ سنة، واستناداً إلى ما يعرفه العلماء حتى الآن عن الفيروس التاجي، الذي يشار إليه رسمياً باسم COVID-19، فإن السكان الأكبر سناً كانوا أكثر عرضة للوفيات الناجمة عن المضاعفات المرتبطة الناجمة عن العدوى. ومع ذلك كانت إيطاليا واحدة من أوائل الدول التي فرضت بسرعة حظر السفر على جميع الرحلات الجوية من الصين بعد الكشف عن أول حالة من الفيروس الجديد في ٢٩ يناير ٢٠٢٠. وفي اليوم التالي، أعلن رئيس الوزراء جوزيبي كونتي حالة الطوارئ لمدة لا تقل عن ستة أشهر، ولكن في غضون ٢٠ يوماً، تضخمت تلك الحالة الواحدة إلى أكثر من ١٢ ألف حالة^(٧) لقد أثر ذلك على الحالة النفسية للسكان وكانت إيطاليا في حالة إنكار ولم تتحرك بالسرعة الكافية للانخراط في تدابير الفصل الاجتماعي والحظر. لكن القنبلة الفيروسية انفجرت بكامل قوتها، وسرعان ما وصل نظام الرعاية الصحية إلى نقطة حرجية. وتم فرض قيود محدودة على السفر في بعض المناطق الأكثر تضرراً في الأول من مارس، ولكن مع بدء معدلات العدوى في التكاثر على ما يبدو على مدار الساعة، أمر كونتي بالحظر الكامل على جميع أنحاء البلاد.

ومن النوافذ والشرفات، نظر الإيطاليون مساء يوم من أيام الحظر إلى مشهد بائس ومهيب، رأوا فيه شاحنات للجيش الإيطالي، وهي تنقل ٦٠ صندوق (تابوت) وضعت فيها جثث الموتى بفعل فيروس كورونا وبالتالي أثر هذا المشهد على نفسية الكثيرين وخاصة إنهم يتمتعون بترابط اجتماعي كبير. هكذا يفاجئون بنقل الموتى بدون أن يرافقهم إلى مثاهم أو ينثروا الورد عليهم، فقد ودعاهم في ليلة ظلماء ساكنة والدموع تنهمر بدون أنين. وكان مؤلماً حقاً أن ترى البلاد وقد عادت إلى زمن

الحرب العالمية الثانية، وهي تنقل جثث ضحايا المرض بالشاحنات العسكرية، بعد أن عجزت عن تقديم الرعاية الصحية لهم

التوزيع الجغرافي لفيروس كورونا في إيطاليا

أن من بين المقاطعات، تحتل لومبارديا المركز الأول في عدد الإصابات برصيد ٢٥٨١ شخصًا، حسبما قالت وكالة "آكي" الإيطالية. وأضافت المصادر أن "إقليم فينيتو، يتبع لومبارديا بـ ١٨٧١ إصابة، تليه إميليا رومانيا بـ ٥٤٢٠، ليجوريا بـ ٤١٦٠، وهناك ٢٥٩ حالة في كل من بيمونتي و لاتسيو و صقلية وماركي، و ٢١٤ في توسكانا، ١٩٧ في ألتو أدجي. وذكرت المصادر أنه انتشرت أنباء عن ٢٠٧ إصابة في مقاطعة بوليا (جنوب) ، بينما ظهرت اليوم ٥٠٨ إصابة في أبروتستو. وأشارت المصادر أيضا إلى أن هناك ١٢٨٦ مريضًا يتلقون العلاج في مستشفى سبالانزاني ، ٣٦٨ منهم في العناية المركزة، بينما يخضع ٢١٢١ للحجر المنزلي، وقد تعافى ثلاثة أشخاص، إلا أن عدد الضحايا وصل إلى ١٢٠٠٠ شخصا حتى الآن.

عدد الحالات المؤكدة حسب الإقليم:

- مؤكد ١ - ٩
- مؤكد ١٠ - ٩٩
- مؤكد ١٠٠ - ٤٩٩
- مؤكد ٥٠٠ - ٩٩٩
- مؤكد ١,٠٠٠ - ٩,٩٩٩

الآثار النفسية لفيروس كورونا على المجتمع

نتيجة لتفشي فيروس كورونا وإصابة أعداد كبيرة بهذا المرض في كل بلدان العالم وكل شخص سواء كان مصاب أو متعافي أو ملامس أو سليم أو محجور أو معزول وهذه التسميات المختلفة التي أطلقت فهي تختلف واحدة عن الأخرى ، وبالتالي جميع هذه أصبحت تعاني آثار نفسية وكآبة مفردة وروتين مزعج سواء على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي ونفسي إذ أصبح يفكر مرارا وتكرار في هذا الوباء ومتى ينتهي وإلى أي مدى يصل وما طريقة العلاج وبالتالي أصبح كل فرد من أفراد المجتمع يعاني حالة نفسية جراء هذا الفيروس . من حالاته أن أحدهم (صار يخاف من الموبايل إذا كان يتحدث مع مصاب!) وقول إحداهن:

(صرت أحسب من كل عطسة وكل كحة)..وقول أخرى (أني أعصابي تلفت)

وسيكولوجياً..إن الذعر سببه الخوف من مجهول يحمل الشر، وإن التهويل يساعد على انتشار الشائعات من قبيل أن فيروس كورونا هو (فلم أمريكي) يستهدف الصين وإيران، وإن الصين أرادت أن تصنع سلاحاً فتاكاً من الفيروس التاجي فانقلب السحر على الساحر..وانتشار الخرافات أيضاً التي تمثلت بدعوة بعض رجال الدين إلى الوضوء والاستغفار وقراءة دعاء عاشوراء والمعوذات، مع علمهم أن الخوف لن يقلل من انتشار فيروس كورونا بل يؤدي إلى آثار نفسية واجتماعية وأسرية سلبية، والضغط النفسية وأسرية تمثلت حالاتها في: نمل، ضجر، عزلة مقرفة، كآبة، (ضوجه حيل، لا لعبات لا طلعات لا روحات للسوق)، فيما تمثلت الضغوط الأسرية بالمشاجرات بسبب عدم التزام أحد أفراد الأسرة بالنظافة أو لبس الكمادات والقفازات.^(٨)

وظهرت روحانيات ومعتقدات خرافية تمثلت بقراءة الأدعية وطك طكة الحرمل وقول بعض رجال الدين (من دخل الإيمان في قلبه لا يصاب بفيروس كورونا!). وقيام دجالين بكتابة حروز وتعوذات ، وقيام سياسيين بدعوة الناس إلى التوجه إلى مراكز العبادة فيما هم يستخدمون أحدث وسائل الوقاية الصحية.

ونشير هنا إلى أن كورونا (عادل) في استهدافه ، فهو لا يفرق بين رئيس دولة وعامل نظافة وملياردير ومن لا يجد قوت يومه ، وعالم دين وملحد، وأبيض وأسود. أيضا التزم الكثير من العراقيين

بتعليمات الوقاية الصادرة من المؤسسات الصحية العراقية ومنظمة الصحة العالمية، وكانت هنالك أسر عراقية مثلت أنموذج الوعي الصحي في التعامل مع فيروس كورونا.

وتطلبت إجراءات الحد من انتشار كورونا غلق المطاعم، والمقاهي والنوادي وبعض المحلات وأصحاب سيارات الأجرة والفئات الاجتماعية الأخرى. لينعكس سلباً على الحياة الاجتماعية للكسبة بشكل عام والحياة الأسرية بشكل خاص، أدى إلى ضغوط نفسية ومشكلات أسرية، مصحوباً بهلع أشد من احتمالية خفض رواتب الموظفين بسبب انخفاض أسعار النفط..وما سينجم عنها من اضطرابات سياسية وتفكك اجتماعي وذعر من تحول كورونا إلى وباء قاتل في العراق.

ونتيجة لوجود الكثير من الأحداث في كل العالم عامة والعراق وإيطاليا خاصة وعدم وجود الوقت الكافي لذكرها هنا، اقتصر على ذكر حالتين حالة حيدر من العراق وحالة الكاهن من إيطاليا

حالة الشاب حيدر من العراق

بعد أن شعر حيدر جبار (٢٢ عاماً) بأعراض إصابته بفيروس كورونا المستجد (كوفيد-١٩) قرر التوجه إلى مستشفى الزعفرانية في بغداد للتأكد من وضعه الصحي. (ليتني لم أذهب)، هكذا قال بحزن شديد، يروي حيدر تجربته كنت في المظاهرات وفجأة شعرت بارتفاع درجة حرارتي، وأحسست بضيق في التنفس، فذهبت مسرعا نحو المستشفى، أرشدني موظف الاستعلامات إلى أحد الأطباء، وبعد أن سألتني عن وضعي طلب مني التوجه إلى إحدى الغرف والبقاء فيها. وبقيت في تلك الغرفة ٢٤ ساعة من دون أي طعام أو اهتمام، بعدها نُقلت إلى غرفة أخرى في الطابق العلوي، ولم يتغير من الوضع شيء، لم يفقدني سوى شخص واحد لم أتمكن من تحديد هويته إن كان طبيباً أو ممرضاً، أعطاني محلولا مغذيا عن طريق الوريد ثم اختفى، وعاد في اليوم التالي عند منتصف الليل ومن شدة الألم والجوع غلب على حيدر النعاس، استيقظ بعدها ليجد نفسه ملطخا بدمائه، إذ يبدو أن المغذي المتصل بوريده أزيح عنه خلال نومه دون أن يشعر به، وقد حاولت أن استنجد بأحد من دون جدوى فاضطرت لإيقاف النزيف بنفسني مستخدما جزء من القماش غير النظيف الذي يغطي السرير. وبعد يومين تقريبا لم يتحمل حيدر الجوع، وقرر أن ينهض من السرير بحثا عن الطعام الذي وجدته موضوعا على الأرض قرب حاوية النفايات القريبة من غرفته، وقال إنه أخذ الطعام وأكله مجبرا. أدرك حيدر لاحقا أن خوف الموظف من العدوى هو السبب نفسه الذي منع موظف التنظيف من دخول غرف الحجر في المستشفى، وهو ما أجبره على غسل فراشه بنفسه.

أن عدم تقديم الطعام وغياب الرعاية الصحية لم تؤثر بشكل كبير على نفسية حيدر وحدها، بل انقطاع أسرته عن زيارته، ويقول استعربت من انقطاع أسرتي، لكنني علمت لاحقا أن المستشفى منعهم، ولم تكثف إدارة المستشفى بذلك بل اتصلت بمختار منطقتنا وأبلغته بتحذير الناس من التعامل مع أفراد أسرتي، تخيلوا أن أصحاب محلات البقالين وغيرهم رفضوا التعامل مع إخوتي الصغار، ولكم أن تتصوروا الإرهاب النفسي الذين عاشته أسرتي. في اليوم الرابع من الحجر الصحي تحسن وضع حيدر، وبعد أن تمكن والده من زيارته قررا الخروج من المستشفى دون إخبار أحد، وقال لو بقيت نصف ساعة إضافية لفقدت عقلي.

حيدر ذلك الشاب الذي دفعه وعيه وحرصه على مراجعة المستشفى أصبح يعتبر المحاجر الصحية سجونا لا صحية تصيب الإنسان السليم بالمرض، وقال لن أنسى تلك الساعات الأليمة، ولن أعود مجددا لأي مستشفى حتى لو كنت على فراش الموت لأن نفسيتي تعبت وتفكيري توقف وانهار كل شيء في حياتي^(٩).

أذاً إن خوف المصاب بفيروس كورونا وذويه من وصمة العار التي ستلاحقهم وتعزلهم عن المجتمع وتجعلهم منبوذين من أبرز الأسباب التي تدفعه للكتمان، مشيراً إلى أن عدم الوعي لدى أغلب أفراد المجتمع في التعامل مع المصابين والمشتبه بهم في هذه الأوضاع خلق مشاعر الخوف والتردد لدى المصاب وأسرتهم، بالإضافة إلى أن إجراءات الحجر الصحي المتبعة لا تليق بالمكانة الإنسانية والاجتماعية للفرد.

قصة الكاهن في إيطاليا

تتوالى الروايات المؤثرة من إيطاليا التي تحولت إلى بؤرة جديدة لفيروس كورونا بعد الصين، إذ قدم كاهن إيطالي تضحية وهي أن وفاة الكاهن، دون جوزيبي بيرارديلي (٧٢ عاماً)، كاهن إبراشية كاسينجو، يعيش في قرية صغيرة تقع شمال شرقي ميلانو، بعدما تبرع بجهاز التنفس لمريض شاب كان يكافح هو الآخر من أجل حياته. وكان الكاهن بيرارديلي دائم المرح ومفعماً بالحماس، وعندما أصيب بفيروس كورونا، نقل إلى أحد المستشفيات بمدينة لوفيري بمنطقة بيرغامو، إحدى أكثر المناطق تضرراً بكوفيد-١٩. إذ لاحظ الكثير من المصابين وإصابة بخيبة أمل كبيرة جراء ذلك كونه وجد هناك طفل صغير مصاب بفيروس كورونا وهو ينتظر دوره لإعطائه جهاز التنفس وكان هناك عجز بعدد أجهزة التنفس أمام الإعداد الكبيرة من المصابين، تأثر بذلك المشهد وفكر في داخله كيف

يمكنه من إنقاذ ذلك الطفل لأنه لم يرى من حياته شيء. ونقل الإعلام الإيطالي عن مصادر من المستشفى، أن الكاهن رفض استخدام جهاز التنفس الصناعي الذي جلبوه له، وتبرع به للطفل المصاب ولم يكن يعرفه، ومات الراهب متأثراً بمضاعفات فيروس كوفيد-١٩. ويسبب الحجر الصحي المفروض في إيطاليا، لم تنظم جنازة لبيرارديلي، لكن أهل المدينة وقفوا احتراماً له في شرفاتهم وصفقوا لما رأوه تصرفاً إنسانياً نبيلاً يليق به. (١٠)

الاستنتاجات

- أثبتت الدراسة إن فيروس كورونا اثر بشكل كبير على الحالة النفسية للفرد في المجتمع العالمي ،
ويجمع المختصون بالصحة النفسية بأن الرعب في حالات الوباء تعزى سيكولوجياً إلى
- الخوف من الإصابة بالمرض والموت
 - فقدان سبل العيش وعدم القدرة على العمل إثناء مدة العزل
 - الطرد من العمل
 - الاستبعاد الاجتماعي، بوضع المصاب في الحجر الصحي.
 - الانفصال عن المقربين ومقدمي الرعاية بسبب أنظمة الحجر الصحي
 - الشعور بالعجز، الملل، الوحدة، والاكتئاب بسبب العزل وإجراءات قاسية
 - شعور الأفراد بأنهم عاجزون عن حماية المقربين لهم، وقلق يومي من فقدانهم بسبب إصابتهم بالفيروس

-الفرع والهلح تنوعت حالاته بين وساوس قهرية، قلق مفرد، توقع شر، مبالغة في استخدام المنظفات والمطهرات، متابعة يومية مستمرة لأخبار انتشار كورونا عبر فضائيات عربية وعالمية تشيع الرعب، تجنب الاختلاط حتى بين أفراد الأسرة الواحدة.

- تبين من الدراسة إن هناك فرق كبير بين العراق وإيطاليا من ناحية عدد الإصابات والوفيات ، بالرغم من اختلاف تطور المؤسسات الصحية . وهذا ما انعكس على نفسية الفرد انه مهما كان هناك نظافة وعناية ومستشفيات متطورة لكن فيروس كورونا لا يهتم بها ويستمر في رحلته إلى مالا نهاية ويتوقعون الإصابة تحت أي ظرف كان .

المقترحات

من المنطقي أن تسبب أخبار انتشار فيروس كورونا للعديد الكثير من القلق والتوتر حول العالم، ولكن من المهم التعامل مع هذه المشاعر بالشكل الصحيح. إليكم بعض الخطوات التي يمكن إتباعها لتخفيف التوتر القلق لضمان سلامة الصحة النفسية.

١ - تنظيف الهواتف المحمولة (حث الجمهور على تنظيف شاشات هواتفهم الذكية مرتين في اليوم بمنديل الكحول للمساعدة في مكافحة انتشار المرض وعلى الناس تنظيف هواتفهم في الغداء، وبعد العودة إلى المنزل في المساء، لقتل الجراثيم التي يتم جمعها في العمل وأثناء التنقل).

٢ - حماية الأقارب المسنين (كبار السن هم الأكثر عرضة لخطر الإصابة بالفيروس، ويحث الناس على الابتعاد عن الأقارب الضعفاء إذا كانوا مرضى).

٣ - الطلب من العائدين من المناطق المتضررة جراء الإصابة بفيروس كورونا البقاء في منازلهم، وتجنب الاتصال بأشخاص آخرين والاتصال بالمؤسسات الصحية حتى إذا لم تظهر عليهم أي أعراض.

٤ - اغسل الملابس جيداً عند درجة حرارة ٦٠ مئوية أو ٤٠ درجة مئوية، باستخدام مسحوق، أو منظف قائم على التبييض "يحتوي على الكلور".

٥ - لا توجد حاجة حالياً لإغلاق المدارس، أو إلغاء الفعاليات الرياضية والتجمعات الكبيرة الأخرى، لكن يمكن مطالبة الأشخاص الذين يعانون من ظروف صحية أساسية بالبقاء في المنزل، لتجنب الإصابة إذا استمر المرض في الانتشار.

٦ - استخدام أقنعة الوجه (الكمامات) بشكل مناسب في الأسواق التجارية والمؤسسات الصحية .

٧ - ضرورة تخزين المواد الغذائية اللازمة يمكن أن يساعد أولئك الذين يطلب منهم البقاء في منازلهم.

٨ - إتباع إرشادات الصحة العامة

٩ - قيام وسائل الإعلام، المرئية والسمعية والمقروءة، بالتعاون مع المؤسسات الصحية بما يسهم في نشر الوعي الصحي، والتحول من موقف تصيد الأخطاء والهفوات إلى الناقد الإيجابي.

١٠ - قيام السيكلوجيين والأطباء النفسيين بما يعزز المناعة النفسية لدى الفرد بتنفيذ التهويل الذي تشيحه وسائل التواصل الاجتماعي، والتهوين المعزز بأدلة علمية تؤكد إن خطر الفيروس هو أقل مما يُشاع عنه إعلامياً.

المصادر

- ١- قاسم حسين صالح، ٢٠٠٠، الاضطرابات النفسية والسلوكية، اليمن .
- ٢- أنخيل مارك، ٢٠٢٠، فيروس كورونا والصحة النفسية ، مقالة ثقافة عامة.
- ٣- معجم المعاني الجامع، معجم عربي عربي.
- ٤- وزارة الصحة العراقية ، إحصاءات خلية الأزمة ، ٢٠٢٠.
- ٥- <https://www.skynewsarabia.com/middle-east>
- ٦- <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- ٧- <https://www.france24.com/ar/tag>
- ٨- روبرت كافي، ٢٠٢٠، فيروس كورونا ما هي احتمالات الموت جراء الإصابة ،مقالة رئيس قسم الإحصاءات
- ٩- <https://www.bbc.com/arabic/business-52362501>
- ١٠- <https://www.bbc.com/arabic/world-52355423>